

كلية أخرى

الأستاذ محمود محمد شاكر

—>>><<<—

قرأت كلمة الأستاذ محمد العربي العلمي في عدد الرسالة (٧٥٩) ردّاً على ما كتبت في قضية الاستقلال الذي تطالب به بلاد المغرب ، ومن حق الأستاذ أن يردّ ، ومن حقّه أن يعلمني ما أجهل ، ومن حقّه أن يرشدني إلى وجه الصواب فيما زعمت أو رأيت ، كلّ هذا من حقّه ، ولكن ليس من حقّه أن يخرج الكلام عن جاذبه ، أو أن يستنبط منه أشياء ليست فيه كقوله إني عرضت للوطنيين من أهل المغرب « فاتهم زعماءهم وأهل الرأي فيهم بالسفّه والغفلة والتخاذل والتهاون في حقوق البلاد أو ما يشبه ذلك من أنواع التهم ». فهذا شيء مردّد إلى ما كتبت لا إلى ما يقول به الأستاذ العلمي . والسفّه والغفلة وما يشبه ذلك من أنواع التهم اا كلمات كبيرة لا يحلّ للأستاذ أن يدّعي أني أردتها بغیر برهان من نص كلامي الذي كتبتّه .

ثم كرر الأستاذ العلمي أن الذي جاء في كلمتي إنما هي أشياء ألفت إلى فككتها بلا تحقيق ولا روية ، أو ألفت إلى فاءتقدتها كل الحقّ وأغفلت ما وراها . وأظن أيضاً أن هذا شيء غير لائق به أن يقوله ، فضلاً عن أن يكتبه . ولم أكن أظن أن الأستاذ العلمي يجترئ على أن يصفني بأنّي أذن تصرفه عن الحقّ صداقة صديق أو عداوة عدو ، ولكنه فعل ، فلا أقل من أن أجزيه بالصفح عنه إكراماً لصديق الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني ، فهو رسوله وسفيره والنائب عنه .

ثم رأيت الأستاذ أكرمه الله يزعم أني بما كتبت إنما كنت أحاول أن أحدث في الائتلاف الوطني المغربي « ثلّة » وأن أني حوله « بذرة من بذور الشقاق » . وهذا شيء كثير ، ولكنني أعود فأصفح عن الأستاذ ، لا لشيء إلا لأنّي أترك الحكم في هذا الأمر لمن يقرأ فيهم ، وما أظن أحداً ممن يطلع على ما كتبت يستطيع أن يقول إنني « حاولت » هذا الذي زعمه الأستاذ .

ثم رأيت الأستاذ يقول : « ولعلّ لا أكون فضولياً إن زعمت أن الدين ذكرهم الأستاذ شاكر من زعماء تونس والجزائر

ليسوا معه على الرأي الذي نسب إليهم » ، وأنا لم أنسب إليهم شيئاً قالوه إلا قولهم « لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال » ، وإسني بهم أن يكون الأستاذ العلمي فضولياً أو غير فضولي ، ولكن الذي يهمني فيهم قراءة الرسالة وسائر العرب والمسلمين هو أن الذي حكيت عن زعماء تونس والجزائر صحيح قد اتفقوا عليه وقيدوه بالكتابة كما جاء في بيان سمو الأمير الجليل محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي نشره في صحيفة الأهرام . وقد جاء فيه أن الأمير اعزّه الله خارج جميع « رؤساء الأحزاب المغربية ومندوبيها » فاتفق رأيهم على تكوين « لجنة تحرير المغرب العربي » من كافة الأحزاب الاستقلالية في كل من تونس والجزائر وصراكش على أساس مبادئ الميثاق التالي : ثم جاء في نص هذا الميثاق « د — لا غاية يسمي لها قبل الاستقلال — ه — لا مفاوضة مع المستمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر — و — لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال » وقد وقع هذا الميثاق جميع من ذكرتهم في كلمتي ومن لم أذكرهم من رجال الأحزاب المغربية في تونس والجزائر وصراكش ، ومن بينهم الأستاذ محمد العربي العلمي ، والأستاذ الناصر الكتاني نيابة عن حزب الشورى والاستقلال .

والمعجب الذي لا يقضى منه عجب هو أمر الأستاذ العلمي ، فقد كتبت كلمتي للرسالة بعد أن قرأت في الأهرام (الاثنين ٥ يناير ١٩٤٨) تحت عنوان « محاولة جديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب » ، وقد جاء في هذا النبا ما نصه . « ويقول الحزب في مذكرته إنه يترجم تحقيق المطالب الوطنية وهي استقلال البلاد — في نطاق وحدته الجغرافية والسياسية ، وفي دائرة ملكية دستورية — من طريق المفاوضات ، والاتجاه بالمغرب في مرحلة انتقال تسمح له بأن ينظم شؤونه تنظيمًا حرًا وبأسرع الطرق إلى تحقيق سيادته التامة واستقلاله المضمونين بمهادنة تحالف وصداقة تبرم في ظل الحرية والمساواة بين المتحالفين . ويمكن تهئية الجو السياسي اللائم لتحقيق ما تقدم ، بأن يعلن رسمياً باسم فرنسا حق الشعب المغربي في تدبير شؤونه في وقت قريب ، وبأن تعتبر مصالح المغاربة ذات أسبقية في بلادهم ، مع الصيانة التامة لسيادة البلاد واستقلالها الوطني » .

هذا ما جاء في المذكرة التي قدمها حزب الشورى والاستقلال

إلى الجزائر جوان المقيم الفرنسي ، وهو صريح في النص على تحقيق « استقلال البلاد من طريق المفاوضات » ، وهذا هو الذي دفعني إلى كتابة ما كتبت عن حزب الشورى والاستقلال ، وهو الذي دفعني إلى أن أتوسل إلى الصديق محمد بن الحسن الوزاني « أن ينيء إلى ما فيه مرضاة الله ، وما فيه خير بلاده وخير أمته ، وأن يدع فرنسا بشراً النظارين ، لا يقربها إلا مقاتلاً مجاهداً رافعاً باسم بلاده وحريتها وكرامتها واستقلالها » ، كما جاء في آخر كلامي . وقد تحدث الأستاذ العلمي إلى مندوب الأهرام بما يطابق هذا المبدأ ، بيد أنني رأيته في اليوم الثاني يوقع على ميثاق لجنة التحرير الذي ينص نصاً صريحاً على أنه لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال . فهذا تناقض بين لا يتفق منه العجب ، كما لا يتفق عجب القاري . حين يقرأ كلمته في الرد على فيراء يقول إنني أزعج « أن زعماء تونس والجزائر في القاهرة يرون رأى علال الفاسي في القمود وعدم المفاوضة » ، ثم قوله إنه يؤكد لي « أن فكرة لا مفاوضة هذه إنما نشأت منذ قريب لأجد داعياً لاشتغال قراء الرسالة بها » ، ومعنى ذلك أنه يرى أن عدم المفاوضة قمود عن الجهاد ، وأن كلمة « لا مفاوضة » كلمة مستحدثة لا عهد لحزب الاستقلال ولا لحزب الشورى والاستقلال بها ، ثم يختم مقاله بأن يؤكد لي بأنه « لن يدخل في أية مفاوضات إلا بعد إعلان الاستقلال » !! فهذا تناقض مُرَّ شديداً المرارة .

وأنا لا أكتب هذا لأرد على الأستاذ العلمي ، فإن هذا التناقض العجيب المر الشديد المرارة ، جعلني أرى أن لا فائدة من الرد ، ولكنني آثرت أن أعرض على القراء شيئاً كنت أخشى أن يفوتهم الاطلاع عليه ، وهم في حاجة إلى الاطلاع على مثله .

وأما ما جاء في كلامه من ذكر فلان وفلان من رجال المغرب ، فلست أنبري ، ولا يحق لي أن أنبري ، للدفاع عنه ، لأنني كما قال الأستاذ : « غير متفطن إلى أني أنحدث عن بلاد لم أرها ، وليس لي من أسباب العلم بها وبأهلها إلا القليل أو ما دون القليل » .

في شيء واحد يشق على مثلي أن يرضى عنه ، وهو إقحام الأستاذ لأسد الريف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطاطبي في معرض هذا التناقض المر الشديد المرارة . فهذا البطل الذي نشأنا

منذ الصغر ونحن نعجده اسمه ، ونسمو بأبصارنا إليه ، ونحوطه بقلوبنا وإيماننا ، ونجعله المثل الأعلى للمربي الأبى الذي لا يقبل ضيماً ولا يقيم على هوان ، هو نفسه الذي علمنا بفعله لا بلسانه أنه « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » . فقد هب أسد الريف وانطلق يجاهد بالسيف ، وأبى أن يسلم للفرنسيين والإسبان شيئاً إلا سيفه بعد أن تقطعت أسباب الجهاد بالسيف ، وأعرض عن كل مهادنة بينه وبين الفرنسيين والإسبان ، واحتمل بلاء النقي والتعذيب صابراً راضياً مستمعيناً بالله على أعدائه . أفلم يكن مما يرضى الفرنسيين والإسبان أن يهادنهم هذا الأسد ويفادهمهم ويأخذ منهم شيئاً ويسكت عن أشياء ؟ بل ، لقد كان يرضيهم ولا شك ، ولسكنه لم يفعل ، فمعنى ذلك كما فهمناه وكما فهمه الناس هو أن أسد الريف يرى رأياً واحداً هو أن « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » ، ولذلك احتمل ما احتمل ، وصبر صبر المؤمنين الذين لا يفتنهم عن الحق عذاب ولا نقي ولا تشريد . وإذا لم يكن الأستاذ العلمي قد فهم هذا من بطولة أسد الريف ، فليحدثنا إذن ماذا فهم ؟ وفيه كان صبر أسد الريف وبطل العرب على البلاء الغليظ عمراً طويلاً تحيا فيه رجال وتموت رجال ؟ وفيه كان جهاده وقتاله واحتماله رؤية أبنائه وهم يستقون في ميدان الوغى بين يديه ؟ أفلم كل ذلك ليفاوض ، فيأخذ شيئاً وينفضي عن أشياء ؟ حاشا لله .

أما الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني ، فأنا لم أرد به بإساءة كما أراد الأستاذ العلمي أن يقول ، بل كان كل كلامي منصفاً على المبدأ الذي جاء في المذكرة المرفوعة إلى المقيم الفرنسي بالجزائر جوان ، وهو مبدأ المفاوضة في الاستقلال ، وهو مبدأ فاسد لن يسكت قلبي عن هدمه وتقويضه ، ولو قال به أعز الناس على وأكرمهم في قلبي ، وهو عندي مذهب أقلية ، ولو قالت به أمة بأسرها . وسأبقى ما حييت أدعو الأمم التي ابتليت بالاستعمار إلى مبدأ واحد هو أن « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » ، فهو عندي مذهب أكثرية ، ولو لم يقل به إلا فرد واحد طريد شريد لا يجد في الأرض مكاناً يؤويه ، أو عشيرة تنصره ، أو أذنًا تسمعه . وكل حزب يدعو إلى المفاوضة ، فهو عندي حزب بغير شعب ولو تبعته الجماهير المضللة ، وكل زعيم يدعو إليها فهو زعيم